مجلة جامعة تشرين – سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية

اسم المقال: "الإرهاب" الجهادي التكفيري في سورية
اسم الكاتب: زهير محفوض
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/4621
تاريخ الاسترداد: 2026/11/03 15:35 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة تشرين – سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية – ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (36) العدد (6) 2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies -Economic and Legal Sciences Series Vol. (36) No. (6) 2014

"الإرهاب" الجهادي التكفيري في سورية

زهير محفوض*

(تاريخ الإيداع 7 / 8 / 2014. قُبِل للنشر في 4 / 11 / 2014)

□ ملخّص □

في ظلّ ما تتعرّض له سورية من "إرهاب" على يد الجماعات الجهادية التكفيرية، وفي ظل الدعم غير المحدود لها من قبل الولايات المتحدة وتركيا والسعودية وغيرها، يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على الخلفية العقائدية لـ"إرهاب" هذه الجماعات، وأهم العوامل التي أدت لانتشار فكرها عالميا وداخل سورية، وكيف لعبت ازدواجية المعايير في التعامل الدولي مع "الإرهاب" دورا في استمراره وزيادته.

وتوصل البحث إلى أن الجماعات الجهادية التكفيرية تستند في منهجها إلى إرث "جماعة الإخوان المسلمين" والفكر الوهابي التكفيريَين، وتوصل أيضا إلى أن أهم عوامل انتشار الفكر التكفيري الجهل والبطالة والدعم السعودي والغربي المالي والإعلامي وغيرها، وأن الدول الداعمة لهذه الجماعات تستثمر نشاطها الإرهابي لتحقيق مصالحها أو للحفاظ عليها.

الكلمات المفتاحيّة: "الإرهاب"، الجهاد التكفيري، ازدواجية المعايير، الإخوان المسلمون، الفكر الوهابي.

*ماجستير – العلاقات الدولية– كلية العلوم السياسية – جامعة دمشق– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (36) العدد (6) 2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies -Economic and Legal Sciences Series Vol. (36) No. (6) 2014

The jihadist expiatory terrorism in Syria

Zouhair Mahfoud*

(Received 7 / 8 / 2014. Accepted 4 / 11 / 2014)

□ ABSTRACT □

In light of the expiatory jihadist groups' terrorism against Syria and under the unlimited support from the United State, Turkey, Saudi Arabia and many other countries, this study tries to shed light on the ideological background of the terrorism of these groups and on the most important factors that led to the spread of their thoughts globally and within Syria. It also talks about how double standards has played a role in the international dealing with the terrorism in Syria and in its continuation and increasing.

This research found that the jihadist groups depend – in their approach – on the legacy of "the Muslim Brotherhood" and on the Wahhabi expiatory thought. It also found that ignorance, unemployment, the media and the financial support from Saudi Arabia and from the West are the most important factors of the spread of expiatory thought. Besides, countries that support these groups invest their terrorist activity either to achieve their interests or to preserve them.

Key words: terrorism, expiatory jihad, double standards, the Muslim Brotherhood, Wahhabi thought.

* **Master, International Relations, Faculty of Political Science, Damascus University, Syria.**

مقدّمة:

عرفت المجتمعات البشرية "الإرهاب" على مدى التاريخ، وتطوَّر أسلوبه وهدفه بتطوُّر المجتمعات واختلاف ظروفها، وتعدّدت الجهات التي اتخذته طريقاً لتحقيق أهدافها. وما تتعرض له سورية اليوم من تدمير منهجي لبنيتها التحتية، وقتل لأبنائها، وانتهاكات خطيرة على الصعيد الإنساني والأخلاقي، هو شكل سافر من أشكال "الإرهاب". انتشر في سورية بسبب ما توفر له من دعم إقليمي ودولي تسليحا وتمويلا ودعاية وتجنيدا ورعاية، وساعد على ذلك فقدان الثقة بسياسات حكومية غير فاعلة، وبنية مجتمعية ظهرت أمراضها بسبب الأحداث المفاجئة والاستهداف المقصود لبنية الدولة السورية.

أهمية البحث وأهدافه:

تنبع أهمية البحث من خطورة ما تتعرض له سورية كدولة لها ميزاتها الجيوسياسية والاستراتيجية في المنطقة. وخطورة إعادة إنتاج سلوك دولي استعماري جديد غير مسبوق في التآمر على دولة ذات سيادة بالاعتماد على "الإرهاب" لتحقيق أهداف سياسية. وبالتالي يهدف البحث إلى التعرف على الأيديولوجية التي تغذي هذا "الإرهاب" في سورية، والعوامل التي أدت إلى انتشار هذه الظاهرة فيها، ومحاولة استخلاص بعض النتائج والتوصيات مما تتعرض له سورية والذي يهدف إلى تقويض بنية الدولة السورية.

مشكلة البحث:

تتعرّض سورية منذ عام 2011 لأحداث إرهابية استهدفت بنية الدولة السورية، ووقفت الدول مواقف متباينة إزاء دعم الدولة السورية لمواجهتها، أو دعم المجموعات التي تقوم بـ"الإرهاب" تحت ذريعة دعم حقوق الشعوب وحريتها. وفي كلتا الحالتين كانت الدول تتخذ مواقفها في سياق مصالحها الاستراتيجية.

والأسئلة التي تطرح نفسها:

كيف تمكنت ظاهرة "الإرهاب" من الانتشار في سورية؟ وما مصالح الدول التي تقوم بعدعمها فيها؟

فرضيات البحث:

يرتكز البحث على فرضيتين أساسيتين هما:

1- الانقسام الدولي حول ظاهرة "الإرهاب" يعزز انتشار هذه الظاهرة واتساعها.

2- هناك علاقة ذات دلالة منطقية، بين توجهات سورية الإقليمية ودعم انتشار ظاهرة "الإرهاب" فيها من قبل بعض الدول الإقليمية وغيرها.

منهجية البحث:

لقد تمّ الاعتماد على منهجين في إعداد هذا البحث هما:

1- المنهج التاريخي: من خلال العودة إلى الجذور التاريخية لظاهرة "الإرهاب" وعوامل انتشارها في سورية.

2-المنهج الوصفي التحليلي: من خلال التطرّق لما ورد من أفكار جهادية تخدم "الإرهاب" والتطرف، وتحليلها بما يخدم هدف البحث.

النتائج والمناقشة:

أولاً: مفهوم "الإرهاب" وازدواجية المعايير في التعامل الدولي معه:

1- مفهوم "الإرهاب":

أُستخدِم مصطلح "الإرهاب، Terrorism" لأوّل مرّة في عام 1793، وكانت الكلمة فرنسيّة تعني التخويف، وأُستعمِلت الكلمة لوصف الأساليب التي استخدمتها المجموعة السياسية الفرنسية "جماعة اليعقوبيين، Jacobin Club "بعد الثورة الفرنسية، وكانت هذه الأساليب عبارة عن إسكات المعارضين لهذه المجموعة السياسية التي كان لها دور بارز في الثورة الفرنسية واعتقالهم ، إذ كانت توجُّهاتها معتدلة في البداية ولكنها بدأت تأخذ منحى يسارياً متطرفا بعد الثورة، وكان عدد المنتمين إلى هذه المجموعة يقارب 500000 شخص، ولكن المجموعة انحلَّت، و قُتِل معظم قياديها في عام 1794.[1]

في بدايات القرن العشرين، كانت كلمة "الإرهابي" تُستخدَم بصورة عامّة لوصف الأشخاص الذين لا يلتزمون بقوانين الحرب في أثناء نشوب صراع مُعيَّن، مثل تجنُّب الاستهداف المُتعمَّد للأهداف (مدنيّة أو أشخاص مدنيّين)، ورعاية الأسرى والعناية بالجرحى، وكان التعبير يُستخدَم أيضاً لوصف المعارضين السياسيين لحكومة مُعيَّنة، وكانت كلمة "إرهابي" ذات معاني إيجابية من قِبَل المعارضين، وأقدم ذكر لهذه الكلمة مُدوَّنة في سيرة "فيرا زاسوليج Vera" Zasulich التي كانت كاتبة ماركسية من روسيا وقامت باغتيال الحاكم العسكري لمدينة "سانت بطرسبرغ" في عام 1878 لأسباب سياسية، وقامت "زاسوليج" بعد الاغتيال بإلقاء مسدَّسها وتسليم نفسها قائلة "أنا إرهابية ولست بقاتلة"،وكانت "زاسوليج" عضواً في مجموعة كانت تُسمَّى "غير سلطوية" وكانت المجموعة مُعارِضة لحكومة روسيا القيصرية.[2]

وفي الأربعينيات من القرن العشرين، أُستعمِل تعبير "**الحرب على الإرهاب**" لأوّل مرّة من قِبَل سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين، ضد منظمّتين صهيونيتين هما: "أرجون" و "شتيرن". فقامت القوّات البريطانية بحملة دعائية واسعة في الصحف قبيل الحملة، وأُطلِق عليها تسمية "الحرب على الإرهاب". لقد تذرعت قوات الانتداب البريطاني بذلك لأن هاتين المنظمتين وقفتا في جانب ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية واستهدفتا على أثر ذلك القوات البريطانية لإجبارها على ترك فلسطين تحت سيطرة اليهود الصهاينة[3] .

ولكن الانتشار الأوسع للتعبير حدث في نهاية السبعينيات من القرن العشرين، حيث كان التعبير" War onTerrorism، الحرب على الإرهاب" مكتوباً نصّاً على غلاف "مجلة التايم، Time Magazine" في عام 1977، وكان عنواناً لمقال رئيس عن المعارضين أو ما أسماهم المقال غيرالسلطويين الذين كانوا من المعارضين السياسيين لحكومات الاتحاد السوفيتي وبعض الحكومات الأوروبية. [4]

بعد أحداث11 أيلول2001، حدثتْ تغييرات على المعنى الدقيق للإرهابي، وتم استعمال تعبير "الحرب على الإرهاب" لوصف حملات متعدّدة الأوجه على الأصعدة الإعلامية والاقتصادية والأمنية والحملات العسكرية، التي استهدفت دولاً ذات سيادة وحكومات، وكان هذا الانعطاف في معاني كلمة إرهابي وتعبير "الحرب على الإرهاب"

مصحوباً على الأغلب بإضافة وصف الشخص، أو الجهة بكونه يستعمل الدين في الشؤون السياسية أو يقوم بتطبيق الدين بصورة مُتطرِّفة، وخاصة الدين الإسلامي.

وهذا ما جعل وزير الخارجية السوري آنذاك "فاروق الشرع" في مؤتمَر صحفيّ مع وفد الاتحاد الأوربي يُؤكِّد أن سورية ستدعم الحملة من أجل مكافحة "الإرهاب" إذا استندت إلى أربعة مبادئ:

أ- أن تكون الحملة واضحة جداً.

ب- يتم تحديد "الإرهاب" وتعريفه.

ج-عدم قتل الأبرياء والمدنيين في أثناء الحملة.

د- يجب ألا تكون هناك علاقة بين "الإرهاب" والعالم الإسلامي والعربي.[5]

ولمجموعة من الأسباب لم يتمّ الوصول إلى تعريف مُحدَّد لـ"الإرهاب"، ومن هذه الأسباب:

أ- الاختلاف الجذري بين القيم الحضارية التي ترفعها وتلتزم بها الدول والحكومات والمؤسّسات الدولية.

ب- مدى قناعة رجال السلطة السياسية والحكَّام في تلك الدول بتعريف مُعيَّن قد يُدخِل أفعالهم هم أنفسهم ودولهم تحت طائلة "الإرهاب".

ج-المصالح التي تحكم الدول، فما يُسمَّى إرهاباً لدى دولة قد يُدعى مقاومة عند أخرى.

ولهذه الأسباب على وجه الخصوص يوجد الكثير من المعاني والتعريفات لـ"الإرهاب"، سواء في مفهومها العربي أو الغربي، لكنها في مجملها تتفق على أن "الإرهاب":

أ- عمل يقوم على العنف، ويستخدم الوسائل القادرة على إحداث الخطر.

ب- يهدف إلى إثارة الذعر والخوف.

ج-عمل موجُّه إلى شخص أو مجموعة من الأشخاص، أو حكومة أو دولة.

د- يقوم به شخص أو مجموعة من الأشخاص أو دولة.

هـ-له باعث أيديولوجي.

و- غرضه سياسي.

ز- حدوده دولة أو مصالح دولة أو مجموعة من الدول أو مصالحها.

ح-زمنه السلم أو الحرب.

2-ازدواجية المعايير في التعامل الدولي مع "الإرهاب":

لم يقم المجتمع الدولي بتحديد مفهوم واضح لـ"الإرهاب"، وساعد هذا الغموض وعمومية التوصيف الدولي لهذه الظاهرة على إعطاء الدول ذرائع للتهرب من مسؤولياتها في مواجهتها، أو ذرائع لتوفير الدعم لها، وذلك في سياق دوافعها السياسية ومصالحها الوطنية.

ويختلف الوصف الذي يُطلق على أعضاء المنظمات الإرهابية باختلاف الموقف السياسي الذي يتخذونه تجاههم، ومن ثم استخدمت أوصاف مختلفة عند الإشارة إليهم، فهم إما إرهابيون أو مخربون أو عصاة أو منشقون أو مجرمون، وإما جنود تحرير أو محاربون من أجل الحرية أو مناضلون أو رجال حركة شعبية أو ثورية وأحيانًا يوصفون بأنهم خصوم أو معارضون للحكم أو متطرفون. فحركة طالبان – على سبيل المثال – حظيت بالمساعدة من قبل الولايات المتحدة عندما اقتضت مصلحة الأخيرة خروج السوفييت من أفغانستان، وأصبحت العدو الأول للولايات المتحدة عندما بدأت بتهديد مصالحها في المنطقة. وكذلك الأمر بالنسبة للجماعات الجهادية التكفيرية في العراق فالولايات

المتحدة تقوم بتقديم العون للقضاء عليها في العراق حتى الآن، لكنها تقدم العون لها لمحاربة الدولة ومؤسساتها في سورية. وهناك أمثلة كثيرة تتعلق بدول أخرى كفرنسا وتركيا والسعودية وغيرها، فالحرب الجهادية واجب فرض عين على كل مسلم في سورية برأي دعاة الفكر الوهابي (محمد العريفي، محمد حسان وغيرهم)، لكنها حرام إذا كان هدفها الملك فلا يجوز الخروج على أولي الأمر شرعا.

ولا يتوقف الأمر على معايير الدول فعلاقات الدول تحكمها المصالح، لكن الملفت في الأمر أن الأمم المتحدة المنظمة الدولية التي أراد لها الميثاق أن تقف على مسافة متساوية في رؤيتها للمسائل الإشكالية، اتخذت مواقف متباينة تجاه مسائل كـ"الإرهاب"، فقد أدانت ما تعرضت له الولايات المتحدة في 2001، وأصدرت القرارات المتعددة لمكافحة "الإرهاب"، ودعت الدول لتقديم المساعدة في ذلك، لكنها رأت في تدمير بنية الدولة السورية والتفجيرات ومظاهر القتل التي يتعرض لها أبناء الشعب السوري تعبيرا عن إرادته في التحرر.

وفي هذا السياق المضلِّل قامت بعض مراكز الأبحاث الأمريكية كمعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى – وهو مؤسسة مرتبطة باللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشؤون العامة "آيباك (AIPAC)" – قام بنشر تقارير أشار فيها إلى قلة عدد القادمين للجهاد في سورية من الخارج فهم وفق آخر إحصائية للمعهد لا يتجاوزون 11000 "مقاتل" إرهابي، وهم حسب ادعاء التقارير لا يقودون "المعارضة المسلحة" وفق تسمية التقارير، ولا يشكلون أكثر من 10 % من هذه "المعارضة"، وفي هذا دعم للتوجه الأمريكي بأن الحراك الموجود في سورية لا علاقة لغير السوريين به.

إن ازدواجية المعايير التي تتعامل بها الدول الكبرى في ضوء علاقاتها الدولية خاصة فيما يتعلق بمسألة معقدة كـ "الإرهاب"، وحساباتها التي جعلت من "الإرهاب" أداة ووسيلة للضغط على الدول أو حماية المصالح لم تسهم إلا في زيادة "الإرهاب".

ثانياً: الباعث الأيديولوجي للإرهاب في سورية:

"الإرهاب" ليس ظاهرة جديدة تتعرض لها سورية، فقد سبق أن عانت سورية من انتشار هذه الظاهرة في القرن الماضي تحت ما يُعرف باسم " جماعة الإخوان المسلمين" التي انقلبت على سياستها الإصلاحية لتتخذ طريقا جديدا قائما على العنف تبلور فيما بعد – في ثمانينيات القرن الماضي – في إعلان "عدنان عقلة" قائد الطليعة المقاتلة لـ"جماعة الإخوان المسلمين" كما أطلق على نفسه: (أتوعّد كل أعوان السلطة المهيمنين والحزبيين والشيوعيين والمخبرين بالانتقام والتصفية)[6].

وربما كان من أهم أسباب هذا التحول جملة من العوامل منها: التأثير المصري وصراع "جماعة الإخوان المسلمين" في مصر مع الرئيس جمال عبد الناصر، و قرار الرئيس أديب الشيشكلي آنذاك بحل "جماعة الإخوان المسلمين" في سورية عام 1952 في جملة حل الأحزاب كلها، و بروز اتجاه متطرّف فتيّ في الجماعة يعترض على أسلوب قيادة السباعي، ويشكك بسلامتها وجدواها وتحالفاتها مع المؤسسات والأحزاب العلمانية، ويدعو لإعادة النظر جذرياً فيها، وحاول هذا الاتجاه أن يشكل جهازا سريا خاصاً على غرار النظام الخاص في مصر يعمل كأداة ردع للجماعة في مواجهة خصومها.

وبملاحظة العوامل الثلاث السابقة يمكن القول إن هذا التحول يندرج في سياق التوجه الاستعماري في تلك الفترة للوقوف في وجه المد القومي العربي الذي كان سائدا في تلك الفترة فالسياسة الغربية وخاصة الأمريكية – وكرد على تيار القومية العربية منذ مطلع الخمسينات– سعت بكل جهدها إلى دعم وتشجيع قيام تحالف بين الدول الإسلامية

المحافظة بقيادة المملكة العربية السعودية المعتنقة للمذهب الوهابي والباكستان لترجيح كفة إسلام شمولي موحد وموالي للغرب لمواجهة مد القومية العربية بقيادة مصر جمال عبد الناصر وتلك الدول المتحالفة معه مثل (الجزائر والعراق وليبيا وسورية واليمن الجنوبي) .

في خريف 1979 نشر ريتشارد ب ميتشل (وهو مستشرق غربي) بياناً لأحد أنصار الإصلاح الإسلامي في سورية بعنوان (دعوتنا) ويحدد البيان جدول عمل المصلحين الدينيين بما يأتي:

1-العودة إلى القرآن والسنة وفهمها كما فهمها السلف الصالح.

2-دعوة المسلمين للعمل وفقاً لتعاليم دينهم الحق.(الدين الحق من وجهة نظره الدين الذي هو عليه أما غيره فهو كافر)

3-تحذير المسلمين من الشرك في أشكاله المختلفة.

4-إحياء الفكر الإسلامي الحر ضمن حدود المبادئ الإسلامية.

5-إقامة مجتمع إسلامي وتطبيق قانون الله على الأرض.[7]

وتعد المبادئ السابقة برنامج عمل، تكمن خطورته في المرحلة الأخيرة وهي إقامة مجتمع إسلامي وتطبيق قانون الله على الأرض، أما طريقة إقامة هذا المجتمع، وكيفية تطبيق قانون الله على الأرض، فقد أعلنها (عدنان عقلة) منذ ثمانينيات القرن الماضي بالانتقام والتصفية كما ورد سابقا. وهو ما عليه الجماعات الجهادية التكفيرية المنتشرة في أكثر من مكان في هذا العالم ومنها سورية.

إن "الإرهاب" الذي تعاني منه سورية اليوم يعود بجذوره إلى "الإرهاب" الذي عانت منه في القرن الماضي، وهذا ما يدفع للربط منطقيا بين ما يحدث في سورية اليوم وما حدث سابقا وبين المصادر الفكرية التي أنتجت هذا "الإرهاب"، هذه المصادر التي تتركز في فكر "جماعة الإخوان المسلمين" في مصر والمستمد أصلا من الفكر الوهابي الذي قامت عليه المملكة العربية السعودية.

تأسست "جماعة الإخوان المسلمين" في مصر عام 1928 على يد الشيخ حسن البنا الذي تأثر إلى حد كبير بأستاذه الشيخ محمد رشيد رضا الذي كان له دور مؤثر في الحركة الدينية عن طريق مجلة المنار ومدرسة الدعوة والإرشاد والمؤلفات الدينية التي وضعها، وكان رشيد رضا ينتمي على الصعيد الإسلامي إلى التيار السلفي الذي يؤكد على طبيعة الإسلام الثابتة والصالحة كدين ودولة لكل زمان ومكان، وكان على الصعيد السياسي من دعاة حركة الجامعة الإسلامية والدولة الدينية والخلافة الإسلامية، ونجحت السعودية في توظيف الشيخ رشيد رضا لخدمة أهدافها السياسية والدينية فقد استطاع الشيخ رشيد رضا أن يؤسس مدرسة الدعوة والإرشاد لتخريج دعاة للدين الإسلامي، وتم افتتاح هذه المدرسة رسميا في جزيرة الروضة بالقاهرة 1912، وقد استغل الشيخ رشيد رضا هذه المدرسة للتبشير بالمذهب الوهابي أو ما كان يسميه عقيدة التوحيد. وكان الشيخ رشيد رضا يتلقى نظير ما يقدمه من شرح لمبادئ الوهابية واعتبار مؤسسها وأصحاب أصولها الفقهية هم وحدهم الموحدون وغيرهم من المسلمين مشركين، وما يصدره من مؤلفات المذهب الوهابي السلفي دعما ماليا من السعودية.[8]

مهما يكن من أمر فإن الشيخ رشيد رضا قد أثر في مؤسس "جماعة الإخوان المسلمين" في مصر حسن البنا ويمكن القول إن علاقة حسن البنا بفكر رشيد رضا وحركته السياسية قد قادته وجماعته إلى الارتباط بشكل أو آخر بالمذهب الوهابي والنظام السعودي.

أعلن البنا أن الإسلام دين ودولة ومصحف وسيف، وأن الإخوان المسلمين دعوة سلفية وهيئة سياسية هدفها الوصول إلى الحكم، لكنه أدرك أنه لا يمكنه الوصول إلى الحكم إلا بوجود تنظيم عسكري، وهذا التنظيم يجب أن يقوم على تربية عقائدية تغذي التمايز الديني ومشروعية أعمال العنف، لذلك اهتم بصياغة نظرية العنف السياسي أو ما عرف بنظرية التكفير أو الجهاد الإسلامي، فأعلن أن منهج "جماعة الإخوان المسلمين" هو المنهج الإسلامي الصحيح وأن ما عداه باطل وخارج على الإسلام. واعتمدت الجماعة على الاغتيالات والتفجيرات.[9]

ويمكن القول إن التحول الذي طرأ على "جماعة الإخوان المسلمين" في سورية وجعلها تقف في وجه التيارات السياسية التي تشاركت معها سابقا في العملية السياسية الديمقراطية التي بدأت بالنشاط بعد الاستقلال، كان بفعل التأثر بصدام "جماعة الإخوان المسلمين" في مصر مع الجيش المصري عام 1954 حيث ظهر هذا التحول في سورية مع أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن الماضي مع وصول حزب البعث العربي الاشتراكي إلى السلطة في سورية وظهرت في الجماعة مدرستان المدرسة التقليدية، والمدرسة المتطرفة التي تكاثرت متأثرة بأفكار (سيد قطب) ومسألة التكفير وعقيدة الجهاد.

إن المتتبع لممارسات الجماعات الجهادية التكفيرية أينما وجدت يجدها مشبعة بأفكار (سيد قطب) والفكر الوهابي، فالجماعات الجهادية التكفيرية تؤمن بوجود مجتمع جاهلي عليها نشر المنهج الإسلامي فيه بالقوة والعنف، وفي محاولة (سيد قطب) لتوصيف المجتمعات التي تكون المجتمع الجاهلي الذي ينبغي تغييره بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات، وبالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها تدخل أولا: المجتمعات الشيوعية لإلحادها في الله وإنكار وجوده أصلا، وإقامة نظام العبودية فيه للحزب لا لله. ثانيا: المجتمعات الوثنية (الهند، اليابان، الفلبين، أفريقية، ..) لتصورها الاعتقادي القائم على تأليه غير الله، وتقديم الشعائر التعبدية لشتى الآلهة والمعبودات التي تعتقد بألوهيتها. ثالثا: المجتمعات اليهودية والنصرانية في أرجاء الأرض جميعا، لتصورها الاعتقادي المنحرف القائم على الإشراك بالله (التثليث) أو بتصور الله على غير حقيقته، ولشعائرها التعبدية ولأنظمتها وشرائعها. أخيرا: المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة، لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها، فهي تدين بحاكمية غير الله بنظامها، وشرائعها، وقيمها، وموازينها، وعاداتها، ...[10]، وهو يرى أن موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية يتحدد في رفضه بالاعتراف بإسلاميتها وشرعيتها أيضا، وعليه يكون منهج الإسلام في مواجهة الواقع البشري كله. وهو يذهب إلى أن مصلحة البشر متضمنة في شرع الله كما أنزله، فإذا بدا للبشر ذات يوم أن مصلحتهم في مخالفة ما شرّع الله فهم أوّلا واهمون وثانيا كافرون.[11]

إن ما ذهب إليه سيد قطب من تصنيف للمجتمعات الإنسانية واعتبارها جاهلية هو مبدأ كل الجماعات الجهادية التكفيرية التي تدعو إلى استخدام العنف والقتل لإقامة شرع الله الشرع الذي تراه هي، فهي تنكر على الإنسانية رفاهية الحضارة وعلى المجتمعات البشرية عيشها الآمن لمجرد أنها تريد إقامة شرع الله الذي تؤمن به، وكأن الله أوكل إليها مهمة تطهير الأرض من أعداء الإسلام وفق منظورها.

وفي هذه الرؤية تتفق "جماعة الإخوان المسلمين" في مصر – وما تحولت إليه في سورية في الستينيات – عقيدة مع المذهب الوهابي الذي قام على مبدأ خطير جدا وهو التكفير، فقد اعتبر المذهب الوهابي أنه دون غيره من المذاهب والملل والنحل الإسلامية هو الذي يمثل الإسلام الصحيح، وأن كل من لا يؤمن بمبادئ هذا المذهب لا يكون مسلما، وكذلك المجتمع الذي لا يستجيب لمبادئ الدعوة الوهابية وينقاد لها فإنه يكون مجتمعا كافرا. ولم يقف أتباع هذا المذهب عند حد التكفير لغيرهم من الأفراد والمجتمعات بل أضافوا إليه مبدأ الجهاد إذ لا يكفي الإيمان بالمبادئ

الوهابية بل يجب الجهاد من أجلها، فإذا لم يقم المسلم بالجهاد من أجل هذه المبادئ يكون مرتدا عن الإسلام وينتهي أمره بالكفر.[12] وتحت هذه الذريعة في عشرينيات القرن الماضي ترك آل سعود خلفهم 400 ألف من القتلى والجرحى، وشنقوا نحو 40 ألف شخص وأمروا بتقطيع أوصال 350 ألف شخص بناء على تفسيرهم المتشدّد لشريعتهم القائمة على الفكر الوهابي.[13]

لقد قام حكم آل سعود بمساعدة بريطانيا بإنشاء ميليشيات عقائدية مسلحة عملت على تحقيق طموحات العرش السعودي، ومؤدى هذه التجربة تجميع البدو الرحل الذين كانوا يشكلون أكثر من 70 % من سكان هضبة نجد، وكانوا يعيشون حياة تقوم على الصراعات القبلية وتعتمد على الغزو والنهب والقتل والتخريب، ثم توطينهم في واحات زراعية عرفت باسم الهُجَر كناية عن هجرتهم للمجتمع الجاهلي وانتقالهم إلى المجتمع الإسلامي الحقيقي. وفي هذه الهجر يتعوّدون على الاستقرار ويتعلمون الزراعة ويتعرفون على أمور دينهم ويمارسون شعائرهم وفقا للمذهب الوهابي. كما يتم في هذه الهجر استغلال النزعات الحربية لدى هؤلاء البدو وتنظيمها من أجل تحقيق الأهداف السياسية للعرش السعودي تحت دعوى الجهاد الديني ونشر الاسلام الحقيقي.[14]

مبدأ التكفير الذي عملت به "جماعة الإخوان المسلمين" في سورية منذ ستينيات القرن الماضي، و"جماعة الإخوان المسلمين" في مصر، وأتباع المذهب الوهابي هو المبدأ ذاته الذي تقوم عليه معظم التنظيمات الجهادية التكفيرية المسلحة كجماعات دينية متطرفة في سورية اليوم، وقد دُعمت هذه الجماعات من قبل أصحاب هذا المبدأ ومؤسسيه ماديا ومعنويا. إن اتجاه الجماعات الدينية المتطرفة إلى العنف السياسي ما إن توفر لها الأساس العقائدي هو أمر طبيعي، فهم يرون أنهم وحدهم الذين يمتلكون الحقيقة المطلقة، وهم وحدهم يمثلون الإسلام وأن ما عداهم باطل، (وهذا ما يذكّر إلى حد بعيد بمقولة شعب الله المختار)، ولذلك من السهل عليهم تكفير الآخرين وتبرير العنف ضدهم (فالغاية تبرر الوسيلة)، والعنف في الجماعات الدينية المتطرفة جزء من تكوينها الذهني والنفسي وهو وليد شعورها أنها دون غيرها يحق لها الحكم باسم الله لذلك ترفض الرأي الآخر وتعامله على أنه كفر، ومن يحاول الوقوف في سبيلها مهدور دمه وقاتله مثاب على فعله.

ويلاحظ أنه رغم تعدد الجماعات الجهادية التكفيرية المنتشرة في سورية (جبهة النصرة، الدولة الإسلامية في العراق والشام، ألوية الجيش السوري الحر،..)، وهي جماعات تسترت بستار الدين وتزيّت بزيّ المسلمين الأوائل –حسب ادعائها – من ثياب فضفاضة وإطلاق لحى، والاعتقاد بمنهج إسلامي زائف يقوم على قتل الآخر حتى لو كان مسلما، رغم تعددها إلا أن المبدأ الذي يحكمها، وهو ما أريدَ لها والقائم على تكفير الآخر جعلها تخوض معارك وجود بينيّةٍ ضارية، فمبدأ التكفير يعمل كعامل تدمير ذاتي أو عامل توتر وفوضى في حده الأدنى وهو الهدف الذي أنشئت من أجله هذه الجماعات.

ثالثاً : عوامل انتشار الفكر الجهادي التكفيري:

1-عوامل انتشار الفكر الجهادي التكفيري عالميا:

أ- المال والنشاط الدعوي السعودي:

المال السعودي هو العامل التجميعي الذي عزز قوة انتشار الفكر الوهابي، فالمال السعودي الذي أنفق بسخاء للوقوف في وجه المشاريع الوطنية والقومية العربية فتح الأبواب الواسعة أمام الشباب المسلم في كل أصقاع الأرض للرجوع إلى الإسلام "الأصلي النقي": من قراءة حرفية للقرآن، وكراهية للغرب والتغريب، ورغبة جهادية عارمة.

لقد تم إنشاء كثير من المنظمات والمؤسسات الدعوية بفضل مال النفط، فقد أسست السعودية رابطة العالم الإسلامي في 1962 كمنظمة غير حكومية لنشر الفكر الوهابي مقرها في مكة، حيث أصدرت مجلة شهرية باسم الرابطة وجريدة أسبوعية تحت اسم (أخبار العالم الإسلامي)، وقامت بتوزيع كميات كبيرة من المطبوعات الدينية، ولها مكاتب في 120 دولة وهي خاضعة للنفوذ السعودي بسبب تمويله للقسم الأكبر من نشاطات الرابطة. وتجدر الإشارة إلى أن الرئيس جمال عبد الناصر كان قد انسحب من مشروعها عندما أدرك الهدف السعودي من وراء إنشائها.

ومن نماذج النشاط الدعوي الدعائي مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الذي يقوم على مساحة تقدر بمائتين وخمسين ألف متر مربع على طريق تبوك في المدينة المنورة، ويبلغ عدد العاملين في هذا المجمع 1600 موظف، ما بين عالم متخصص وخبير وفني واداري ومراقب وعامل ودارس. ويضم المجمع إلى جانب قصر طباعة المصحف الشريف قسماً خاصاً لإنتاج الأشرطة المسجلة بكامل تجهيزاته، ومباني الورش والصيانة، ومباني للسكن ومحطات حيوية، علاوة على قسم للترجمة. وتصل طاقة المجمع الإنتاجية إلى تسعة ملايين نسخة من المصحف الشريف في العام الواحد للوردية الواحدة بأحجام ونوعيات مختلفة منها مليونا نسخة سنوياً لترجمة تفسير القرآن بلغات مختلفة (الهوسا، الصينية، الأردية ، التركية، والإنجليزية وغيرها) وهكذا بالنسبة لاشرطة الكاسيت. وتقوم الخطوط الجوية السعودية بنقل كميات كبيرة من المصحف الشريف إلى بلدان العالم، فيما يقوم المجمع بتوزيع كميات أخرى من داخل البلاد ولاسيما في موسم الحج حيث يتسلم كل حاج نسخة من المصحف الشريف باسم هدية صاحب الجلالة خادم الحرميين الشريفين.

تأسست منظمة المؤتمر الإسلامي في 1969 في الرباط بمبادرة الملك فيصل، ومن أهداف المنظمة دعم التعاون والتضامن بين الدول الإسلامية، والتشاور فيما بينها فيما يخص القضايا المصيرية للمسلمين، وتضم المنظمة 46 دولة إسلامية. وقد انبثق عن المؤتمر الإسلامي الثالث الذي عقد في مكة عام 1981 مجمع الفقه الإسلامي، وبدأ العمل في شهر كانون الثاني 1985 ومقره الدائم في جدة ويتولى المجمع مهمة إصدار الفتاوى في المواضيع الدينية واعداد البحوث الدينية وتوزيعها وعقد الندوات. وقد غلبت على المؤتمر والمجمع الهيمنة السعودية، حيث لعب عنصر التمويل دوراً كبيراً في توجيه مساراتهما وسياساتهما.

تأسست منظمة الشبيبة الإسلامية في 1972 وهي تقوم بإعداد الكوادر الشبابية الوهابية المتطرفة، ولها 450 منظمة وجمعية للشبان والطلبة في 34 دولة. نشرت في 1993، بعد الهجوم الأول على مركز التجارة الذي كان وراءه عمر عبد الرحمن، كتيبا عمليا لتصنيع القنابل، طُبع في السعودية.

قامت منظمة الغوث الإسلامي الدولية ببناء مئات المساجد أو إكمال بنائها، واستخدمت 6000 مدرس وداعية وقد اتهمت بتمويل "الإرهاب" من قبل الولايات المتحدة. لقد أنفقت السعودية منذ 1973 – طبقا لوزارة الإعلام – 5،5% من الدخل القومي على "المعونة الدولية" التي شرطها الأساسي هو مساندة السعودية وسياساتها في المحافل الدولية، وهدفها نشر رسالة الإسلام (الوهابي) في العالم ، فكل السفارات السعودية فيها ملحق للشؤون الإسلامية، بإجمالي 800 من "الدعاة" المتمتعين بالحصانة الدبلوماسية. كما أنها مَوّلت جزئيا أو كليا مشروعات إنشاء مراكز إسلامية و مساجد و كليات إسلامية و مدارس على صعيد العالم، علما أن جميع المراكز الثقافية الإسلامية يديرها دعاة وهابيون.[15]

لقد لعبت المؤسسات الدعوية دوراً مركزياً في نشر الفكر الوهابي المتشدد خلال العقود الماضية، وكان لها نفوذ واسع في قطاع الشباب الذين انخرطوا في مشاريع الدعوة والجهاد. كما أن الجمعيات الخيرية السعودية "الأهلية" عملت كأدوات لتنفيذ سياسة السعودية .

ب- دعم الدول الكبرى والاستعمار:

إن تنامي الحركات القومية في القرن الماضي، أجبر الدول الكبرى الاستعمارية على البحث عن وسيلة لإيقاف تقدمها، فقامت بتجنيد قوى نشأت على مبادئ ما يسمى "الإسلام السياسي". فنشأت الملكيات بدعم استعماري غربي ودعم لمشروع الإسلام السياسي، حيث قامت بريطانيا بمساعدة كل من آل سعود والملك فيصل لإقامة حكم ملكي في كل من السعودية والأردن، لتخلفها الولايات المتحدة في دعم السعودية.

وعلى حد تعبير الدكتور سمير أمين، في مقالة له بعنوان "الإسلام السياسي في خدمة الإمبريالية" فإن الإسلام السياسي كان يمكن أن يجد صعوبة أكثر بكثير في اجتياز حدود المملكة العربية السعودية وباكستان، لولا دعم الولايات المتحدة المستمر، القوي والحازم. فالمجتمع العربي في السعودية لم يكن قد خرج من التقاليد عندما اكتشف البترول تحت ترابه، والتحالف بين الإمبريالية (ممثلة بالولايات المتحدة) والطبقة الحاكمة التقليدية، الذي تم فوراً، أبرم بين الشريكين وأعطى حقاً جديداً بالحياة للإسلام السياسي الوهابي.

لقد كان لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية اليد الطولى في تشكيل حركة طالبان للوقوف في وجه المد السوفيتي، إذ كانت مصلحة الولايات المتحدة آنذاك تقضي حرمان الاتحاد السوفيتي من السيطرة على منابع النفط في الخليج. [16]وتلقت طالبان الدعم من قبل باكستان والسعودية باعتبارها حركة تقف في وجه المد الشيوعي الكافر.

وثمة من يُرجع ظهور الإسلام السياسي في فلسطين للحكومة الإسرائيلية نفسها، فحينما رأى الإسرائيليون منظمة التحرير كقوة معارضة أساسية للاحتلال، عملوا علي تشجيع ظهور جماعات أخرى معادية للمنظمة تعمل على منافسة المنظمة لتحطيم أي تأييد شعبي للمنظمة بناءً علي سياسة فرق تسد، فقامت "إسرائيل" بتشجيع نمو الجماعات الإسلامية من خلال أسلوبين الأول التسامح في تشكيل تلك الجماعات، والثاني منح تلك الجماعات الحرية اللازمة للعمل وكسب التأييد الشعبي. فبينما قام الإسرائيليون بمحاصرة العناصر القومية الفلسطينية وإلقاء القبض عليها، كان الإسلاميون أحراراً يسمح لهم بمواصلة عملياتهم. ومن هذه الجماعات الإسلامية جماعة الإخوان المسلمين (حماس)، وهي متفرعة من جماعة الإخوان المسلمين المصرية وهدفها إقامة دولة إسلامية حقيقية يحكمها القرآن والسنة، من خلال إصلاح المجتمع حتى يكون إسلامياً لا من خلال العنف والتغيير المفاجئ. وتمشياً مع ذلك، تأسست جماعة الإخوان المسلمين الفلسطينيين في السبعينيات كمنظمة اجتماعية ثقافية، تدير المساجد، وتنظم حلقات لدراسة علوم الدين لزيادة الوعي الإسلامي، فضلاً عن إقامة مشروعات لخدمة المواطنين الفلسطينيين، مثل العيادات الصحية والمدارس، مما ييسر كثيراً نشر تعاليم الدين. وبينما بذلت الحركة أقصى ما لديها في مواجهة منظمة التحرير أبعدت الحركة عن المشاركة في أية أنشطة ضد الاحتلال الإسرائيلي. واستطاعت الحركة في منتصف الثمانينيات من خلال التمويل السعودي بناء البنية التحتية الاجتماعية خاصة في غزة، وعلى سبيل المثال تحكمت الحركة عام 1986 في حوالي 40% من مساجد غزة. وفي تناقض واضح لسياسة الإخوان الإصلاحية للبنية التحتية في فلسطين، ظهرت جماعة إسلامية أخرى في أوائل الثمانينيات، تنتهج سياسة تحقيق التغيير العنيف، وهي جماعة الجهاد الإسلامي، كاتحاد لعدد من الجماعات التي تهدف إلى تحقيق حكومة إسلامية من خلال الجهاد، وكانت مهمتها الأولى القضاء

على الحكم الإسرائيلي.[17] ومما يؤيد مقولة الدعم الإسرائيلي لنشوء الجماعات الإسلامية في فلسطين، خاصة "حماس" مشاركة "حماس" في الأعمال القتالية في سورية ومصر إلى جانب الجماعات الجهادية التكفيرية.

ثمة توافق بين الدول الكبرى ذات المصالح المتعددة في المنطقة و"إسرائيل" من جهة وبين الجماعات الجهادية التكفيرية من جهة أخرى، فالطرفان يعدان فكرة القومية العدو الأساسي لهما فالقومية في بعض جوانبها الدفاع عن الوطن وانتزاع الأرض من مغتصبها، كما أن هدف الاستعمار هو تعصيب المنطقة وتحويل ساكنيها إلى طوائف وفئات متقاتلة.[18]

إن التعصّب والجمود والطائفية أشكال من التفكير والسلوك تسمح للقوى الأجنبية بالتدخل، فلا الولايات المتحدة ولا "إسرائيل" تخشيان من قيام أنظمة متعصّبة (إسلامية أو مسيحية) في المنطقة – رغم ادعائها ذلك – بل على العكس تماما إذ إن الصراع الطائفي يغني "إسرائيل" عن حرب الأطراف المقتتلة فيما بينها، ويفتح الباب أمام أسواق التسلح، وهذا ما يبرر دعم الدول الكبرى و"إسرائيل" لكل أشكال التطرف الديني والصراع الطائفي في المنطقة.

ج- وجود بيئة مناسبة لانتشار الفكر الجهادي التكفيري:

يحتاج الفكر الجهادي التكفيري إلى بيئة مناسبة للانتشار، بيئة سياسية واقتصادية واجتماعية، تتلخص بغياب الحريات ووسائل التعبير عن الرأي والمشاركة في الحياة السياسية، وانتشار البطالة والفقر وانخفاض مستوى المعيشة وبروز الفروق الطبقية وظواهر الفساد، وترسخ العادات والتقاليد البالية وانتشار الأفكار الدينية والجهل والأمية في المجتمع.

2- عوامل انتشار الفكر الجهادي التكفيري في سورية:

بالنظر إلى عوامل انتشار الفكر الجهادي التكفيري عالميا يمكن تصنيف عوامل انتشاره في سورية إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية.

أ- العوامل الداخلية: يمكن تحليل العوامل الداخلية في ضوء توفر البيئة المناسبة لانتشار الفكر الجهادي في سورية. إن المجتمع السوري يتسم بالتعدد القومي والديني، فيتوزع الأفراد فيه على أكثر من قومية وأكثر من دين وطائفة، وليست الدراسة بصدد تحليل القوميات والأديان وانتماء الأفراد إليها فالتطرف ليس محصورا في قومية محددة أو دين معين لكن وجود أكثر من قومية وأكثر من دين وطائفة يعزز وجود الآخر المختلف مما يسمح باحتضان بذور الرفض والكراهية حد التكفير وقد وجدت التغذية الملائمة والرعاية المستمرة في ظل غياب الوعي وانتشار الجهل وساعد على ذلك غياب المؤسسات التربوية والدينية والثقافية المسؤولة عن حلقات التواصل والانسجام بين مكونات المجتمع السوري المتعددة. من زاوية أخرى بدا انقسام المجتمع السوري أشد وضوحا من ناحية الريف والمدينة كما أن بساطة أهل الريف وانتشار العادات والتقاليد والتدين فيها شكلت عوامل مساعدة إن لم يكن للجهاد باسم الإسلام فقد كان لاحتضان المجاهدين باسمه.

ساعدت سياسات الحكومة على مدى السنوات الأخيرة والتي أنتجت منظومة ميزت بين الأفراد فاستشرت المحسوبيات والفساد الإداري، مما خلق شرخا كبيرا بين الحكومة والمجتمع أدى إلى فقدان ثقة تم استغلاله بشكل منهجي لإثارة مكونات المجتمع السوري الناقمة على هذه السياسات بدعوى الإصلاح والمطالب المحقة، وبعض ما يدل على ذلك مجموعة من الأفراد شغلوا مناصب مهمة في مؤسسات الدولة كان لهم الأثر الكبير في خلق هذا الشرخ ثم أعلنوا انشقاقهم عن منظومة الدولة وفروا خارج الدولة.

كما أن الشباب السوري الذي غادر سورية للعمل في دول الخليج العربي منذ ثمانينيات القرن الماضي ولم ينقطع حتى تاريخه، شكل مجموعات دعوية تبشيرية بالفكر الوهابي الإرهابي عادت لممارسة النشاط الدعوي بين أفراد المجتمع السوري على مدى السنوات التي تلت استلام الرئيس بشار الأسد مقاليد الحكم في سورية.

السياسة التربوية والمناهج التي أنتجتها تلك السياسة خاصة فيما يتعلق (بالتربية الوطنية والتربية الدينية الإسلامية)، صنعت جيلا مشوب الانتماء الوطني والإسلامي، وعلى سبيل المثال في حوار أجرته مجلة أبيض وأسود مع د. محمد حبش عام 2005 بالإمكان أن ينقلب المحافظون إلى متطرفين لا يعترفون بحق الآخرين بالعيش طالما أن المعاهد الشرعية التعليمية تُدرّس أن واجب المسلم هو أن يدعو الآخرين لواحد من ثلاثة إما الإسلام وإما الجزية وإما القتال[19]. إضافة إلى إلغاء مادة التربية العسكرية، والاقتصار على المناسبات الوطنية بالذكر في الحصص الدرسية الأولى دون الاحتفال بها، والتهاون بأداء تحية العلم، كل هذه العوامل ساعدت في إيجاد بيئة خصبة ضمن شريحة عمرية فتية غير واعية يمكن توجيه قدراتها في الاتجاه الهدام.

انفتاح الدولة على الجماعات الإسلامية بهدف طي صفحة ماضي الثمانينيات، واستثمار العلاقات مع الدول الإسلامية بما يخدم المجتمع السوري، وهذا ما انعكس بشكل غير محسوب في أسلمة مؤسسات الدولة بما فيها مؤسسات حزب البعث العربي الاشتراكي الحزب العلماني القائد للدولة والمجتمع، وتجلى ذلك بإحياء المناسبات الدينية نفسها من قبل أعضاء قيادات حزب البعث الاشتراكي على مختلف مستوياتها. لقد بدا هذا الانفتاح واضحا في المؤتمر الذي استضافته جامعة دمشق في 2005 (مؤتمر تجديد الخطاب الديني)، وحضر المؤتمر العديد من التيارات الدينية من الأزهر والسعودية والإخوان المسلمين وغيرهم، ومؤتمر آخر عقد في مكتبة الأسد من العام نفسه مؤتمر (الاجتهاد بين التجديد والتفريط)[20]، واستقبال الرئيس بشار الأسد لشخصيات دينية تنتمي لجماعة الإخوان المسلمين منها (الشيخ يوسف القرضاوي) والذي كان من أكثر النافخين في نار الفتنة بين مكونات المجتمع السوري لاحقا.

ب- العوامل الخارجية:

لم يقتصر انتشار الفكر الجهادي التكفيري في سورية على عوامل داخلية تتعلق بالبيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بالمجتمع السوري، بل تعدى ذلك إلى عوامل خارجية إقليمية ودولية انعكست في مصالح استراتيجية لدول إقليمية وغير إقليمية، وتأثر بتغيرات غير مسبوقة في المنطقة.

وتجلى ذلك في:

- توجه سورية الإقليمي والدولي:

ينقسم توجه سورية الإقليمي والدولي إلى قسمين أساسيين القسم الأول يتعلق بالاقتصاد والذي بدا واضحا في سياسة الرئيس بشار الأسد بالانفتاح تجاه إيران من خلال تعميق العلاقات السورية الإيرانية، والانفتاح تجاه تركيا من خلال تعميق العلاقات السورية التركية، وذلك في سياق السعي لتحقيق نظرية "ربط البحار الأربعة" التي تحدث عنها أمام منتدى رجال الأعمال السوري – الأذربيجاني في تموز 2009 حيث أكد: "ضرورة الربط الفيزيائي بين البنى التحتية لدول المنطقة مما يشكل شبكة متكاملة من أنابيب الغاز، والسكك الحديدية والموانئ التي تربط بين البحار الأربعة، المتوسط والأسود وقزوين والخليج حتى البحر الأحمر".[21] في سياق هذه النظرية وقعت سورية على اتفاقية مشروع خط أأنابيب "نابوكو" لنقل الغاز الطبيعي من آسيا الوسطى إلى أوربا، حيث تنص الاتفاقية على مد أنبوب غاز بطول 3300 كم، لنقل الغاز القادم من آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين والعراق وإيران إلى أوربا مرورا بتركيا. ويشكل هذا المشروع أهمية كبيرة لهذه الدول من حيث ضمان الطاقة وتنويع مصادرها، ويبلغ حجم الضخ السنوي 25

– 30 مليار متر مكعب سنويا، كما يتوقع أن يجذب 4.5 مليار يورو من الاستثمارات، وفي سياق تنفيذ هذا المشروع أكد الرئيس بشار الأسد أن "هناك تعاونا بين تركيا والعراق، وهناك بداية تطور للعلاقات بين تركيا وسورية، وبين تركيا وإيران، وهناك علاقة جيدة تتطور بين سورية والعراق، ولكن هناك علاقة قوية أيضا بين سورية وإيران، وعندما نفكر لاحقا بأن هذا الفضاء الاقتصادي سيتكامل، فنحن نربط بين البحر المتوسط وما بين بحر قزوين والبحر الأسود والخليج".[22]

اصطدم هذا المشروع بمصالح دول كبرى في المنطقة أهمها الولايات المتحدة وفسح المجال أمام دول أخرى كالصين وروسيا، كما أن هذا المشروع لو قدر له النجاح سيهمش أدوار بعض الدول النفطية في المنطقة كدول الخليج العربي، كما أن "إسرائيل" ستدخل في عزلة اقتصادية، ويعد هذا المشروع بديلا عن مشروع السوق الشرق أوسطية في الرؤية الإسرائيلية للمنطقة. ولذلك كان على السياسة الأمريكية وسياسة الدول المتضررة في حساباتها من هذا المشروع في المنطقة أن تضع إمكاناتها لإجهاضه، فوجدت ضالتها بما أسمته "الربيع العربي" الذي بدأ على غرار لعبة "الدومينو" بتونس لينتهي بكل دول المنطقة تحت شعارات الثورات والإصلاح ونشر الديمقراطية، وكان أن وظفت الولايات المتحدة ودول أوروبا الجماعات الجهادية التكفيرية في سورية كما سبق لها أن وظفتها في دول أخرى لضرب الاستقرار في هذه الدول، وقدمت لها الدعم المالي والسياسي، وحذت حذوها الدول السائرة في ركابها.

أما القسم الثاني من توجه سورية الإقليمي والدولي فكان تعزيز محور المقاومة ببعدها الإسلامي (إيران، العراق، سورية، حزب الله، "حماس")، فلم تجد السعودية وقطر فيه سوى تعزيزا للدور الشيعي في مواجهة الفكر الوهابي، رغم وجود "حماس" – التي لم تكن سوى وجه من وجوه جماعة الإخوان المسلمين تسترت بثياب المقاومة – والدعم السوري لها في مواجهة "إسرائيل"، ولم تجد فيه تركيا سوى مشروعا في مواجهة المشروع العثماني. وهذا ما دفع بهذه الأطراف إلى دعم الجماعات الجهادية التكفيرية لضرب سورية الدولة، وتجلى دعمها بتقديم الملجأ والتدريب والمال والأفراد والسلاح والدعم الإعلامي. وهكذا التقت المصالح الاستعمارية ومصالح بعض الدول العربية بتخريب سورية ونشر الفوضى فيها عن طريق الجماعات الجهادية التكفيرية.

الاستنتاجات والتوصيات:

أ– "الإرهاب" مصطلح غير واضح المفهوم، مما أدى إلى الخلط المتعمد بينه وبين مفاهيم أخرى كالمقاومة المشروعة، واستخدامه لتحقيق أهداف سياسية من قبل الدول والمنظمات والأفراد. حيث إن الدول الكبرى الاستعمارية هي أكثر الدول تذرعا بهذا المصطلح، لتبرير أعمالها العدوانية، وحماية مصالحها وتنفيذ مخططاتها. فـ "الإرهاب" المدعوم إقليميا ودوليا في سورية والذي يستهدف الدولة السورية، هو "الإرهاب" ذاته الذي تحاربه الدول والمجتمع الدولي في أمكنة أخرى من العالم تقتضي مصالح الدول الكبرى محاربته فيها.

ب– تستند المجموعات الجهادية التكفيرية في سورية إلى الفكر الوهابي التكفيري وفكر "تنظيم الإخوان المسلمين" وهما مدعومان بريطانيا وأمريكيا منذ النشوء. والهدف الأساسي للجماعات الجهادية التكفيرية في سورية تخريب البنى التحتية والاقتصادية وتدمير البنى الاجتماعية ونشر الفوضى والنزاعات المذهبية والطائفية. كما أن الدعم الأمريكي لهذه الجماعات جاء في الدرجة الأولى لحماية أمن "إسرائيل" وخلق منطقة متوترة لا يمكن استثمار الطاقة فيها، لتتفرد الولايات المتحدة بعصر طاقة رخيصة فيما بعد ينعش اقتصادها من جهة، ومنع روسيا من التمدد وتحقيق مكتسبات اقتصادية في المنطقة، ومحاصرة إيران وقطع الطريق على الصين في المنطقة من جهة أخرى.

ج–إن الدعم التركي – من خلال التدريب والتأهيل والتسليح وتأمين الملجأ الآمن لهذه الجماعات – جاء في سياق التآمر الاستعماري، وإعادة إحياء المشروع العثماني، والحصول على حصة كبيرة من مشروع الغاز في المنطقة، إضافة إلى التماهي مع السياسة الأمريكية في المنطقة، وإبقاء الأزمة في سورية دون اجتياحها للحدود التركية. كما أن الدعم السعودي المالي والإعلامي والسياسي لهذه الجماعات جاء في سياق مواجهة المشروع الشيعي فالهلال الشيعي حسب تعبير الدوائر السياسية الخليجية يمكن أن يصبح بدرا هذا من جهة ومن جهة أخرى لن تستطيع الاستفادة من سوق الطاقة كما هي عليه الآن فسورية ستكون عقدة الاتصال في سوق الطاقة الجديد، إضافة إلى محاولة الحفاظ على المملكة بعيدا عن أحداث مشابهة بالإمكان أن تتعرض لها على غرار ما حدث في دول أخرى خاصة أنها لا تملك أدنى مقومات الديمقراطية.

د– لقد ساعدت بنية المجتمع السوري المتعددة المكونات والمتسمة بالبساطة والطيبة والجهل في مناطق الريف على انتشار الفكر الديني المتطرف إضافة إلى البث الإعلامي الديني المتواصل والمال المدفوع بسخاء من قبل دول إسلامية لبناء المساجد وغيرها من نشاطات الجمعيات الخيرية التي تصب في السياق ذاته، إضافة إلى الفساد المنتشر في مؤسسات الدولة السورية وعدم الرضا الشعبي عن أدائها، وغياب المؤسسات التعليمية والتربوية والثقافية عن المشهد الاجتماعي والثقافي في المجتمع.

هـ–إن الانفصال بين حزب البعث العربي الاشتراكي القائد للدولة والمجتمع وبين الجماهير التي انبثق منها أدى إلى فقدان ثقة بهذه المؤسسة. كما أن غياب المؤسسات الأمنية في سورية عن المشهد السياسي العام وتغيير أولوياتها أدى إلى استغلالها في غير الأمر المخصصة له.

و–لقد أسهمت الظروف الإقليمية وأحداث ما يُسمّى بـ "الربيع العربي" وسقوط أنظمة عربية في توفير بيئة للتدخل في سورية تحت ذرائع شتى تم تحريض الشارع السوري بموجبها لضرب الدولة السورية.

المراجع:

1 – http://www.bbc.co.uk/radio4/history/inourtime_20050526.shtml .

2 – http://www.anthropoetics.ucla.edu/ap0801/terror.htm#n16.

3– عبد الوهاب المسيري، *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1999، ج7، 130–137، 144.

4 – http://www.time.com/time/archive .

5 – ابراهيم حميدي، *خلاف على تعريف الإرهاب بين سورية والاتحاد الأوربي* . صحيفة الحياة اللندنية، العدد(14076) 29، أيلول 2001، 5.

6 – *الإخوان المسلمون في سورية*، مجلة أبيض وأسود، العدد 129 ، 2005/5/30، 137.

7 – *الإخوان المسلمون في سورية*، مجلة أبيض وأسود، مرجع سابق، 130.

8 – د. محمد أبو الإسعاد، *السعودية والإخوان المسلمون*، مصر، مركز الدراسات القانونية لحقوق الإنسان، 30 – 31.

9 – المرجع السابق، 72–78.

10 – سيد قطب، *معالم في الطريق*، نسخة الكترونية نشرها موقع منبر التوحيد والجهاد، 89 – 91.

11 – المرجع السابق، 96.

12 – د. محمد أبو الإسعاد، *السعودية والإخوان المسلمون* ، مرجع سابق، 22.

13 – روبرت دريفوس، *لعبة الشيطان*، ترجمة أشرف رفيق، مركز دراسات الإسلام والغرب، الطبعة الأولى سبتمبر 2010، 55.

14 – د. محمد أبو الإسعاد، *السعودية والإخوان المسلمون* مرجع سابق، 17–18.

15 – محمود جابر، الدور السعودي في القارة الأفريقية الأفكار والسياسات، سلسلة: نحو استقلال المقدّسات (7)، نسخة الكترونية، 6–11.

16 – يوسف مرتضى، *الحزام الساخن*، مجلة الشاهد، العدد 159 تشرين الثاني 1998، 21.

17 – قراءات استراتيجية، *حماس : دراسة حالة لحركة مقاومة*، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، مؤسسة الأهرام.

18 – السيد يوسف، *الإخوان المسلمون وجذور التطرف والإرهاب في مصر*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، 531–532.

19 – *الإخوان المسلمون في سورية*، مجلة أبيض وأسود، مرجع سابق، 136.

20 – المرجع السابق نفسه.

21 – كلمة الرئيس بشار الأسد من كراسة صادرة عن القيادة القومية الأمانة العامة لحزب البعث العربي الاشتراكي، باسم نشرة قومية رقم 2، وتحت عنوان "*ربط البحار الأربعة عمق في الرؤية الاستراتيجية وفعل خلاق*"، ص5.

22 – المرجع السابق، 8 .